تفكرت فى النحو حتى مللت ... وأتعبت نفسى به والبـــدن
وأتعبت بكراً وأصحابه ... بطول المسائل فى كل فن[1]
فمن علمه ظاهر بين ... ومن علمه غامض قد بطن
فكنت بظاهره عالمـــا ... وكنت بباطنه ذا فطن
خـــلا أن بابا عليه العفـــاء للفاء ياليته لم يكن
وللواو باب إلى جنـــبه ... من المقت أحسبه قد لعن
إذا قلت : هاتوا . لماذا يقـــال لست بآتيك أو تأتين ؟
بما نصبوه ؟ أبينوه لى ... فقالوا جميعاً : بإضمار أن
وما إن رأيت لها موضعاً ... فأعرف ما قيل إلا بظن
فقد خفت يا بكر من طول ما ... أفكر فى أمر «أن» أن أجن

وبهذا وغيره مما قدمناه من أمثلة تجد أن للنحويين عللا وأقيسة ومنطقا واحتجاجات خرجت بهم عن الغاية التى رسمها النحاة الأولون للنحو ، وهو أن يكون وسيلة لحفظ الكلام العربى من الفساد باللحن، وصيانة مبناه من الخلل . وقد سخر منهم ومن حججهم الأدباء ، ورموها بالضعف والتهافت ، ورموهم بالسفسطة ، وتندروا بهم ، فقال قائلهم :

ترنو بطرف ساحر فاتر ... أضعف من حجة نحوى

(١) يريد أبا عثمان المازنى :